# The Deviant Qurʾānic Reading Between the Problem of Transmission and the Richness of Meaning -An Analytical Study in Grammatical, Rhetorical, and Semantic Orientation-

**Abeer Obaid Al-Shbeil**[(1)*]

(1) Assistant Professor, Al-Balqa Applied University, Irbid University College, Irbid – Jordan.

Received: 12/4/2026
Accepted: 9/6/2026
Published: 30/9/2026

* ***Corresponding Author:***
dr.abeer.sh@bau.edu.jo

**DOI:**https://doi.org/10.59759/art.v5i3.2102

## Abstract

This study addresses the Quranic readings classified as anomalous or non-canonical (*shadh*) in the heritage of Quranic sciences. This classification is primarily attributed to a defect in the chain of transmission (*isnad*) rather than the text (*matn*); whether due to an interruption in the chain of narrators, a challenge to a narrator's accuracy or integrity, or a solitary narrator contradicting the majority without corroborating evidence. The study seeks to prove that these readings, regardless of their legislative status in terms of ritual authority, possess linguistic, rhetorical, and semantic value that merits deep methodological investigation. The study adopts the descriptive-inductive approach as a pivotal tool for extracting selected examples of these readings and analyzing them syntactically, morphologically, semantically, and rhetorically. It concludes that the divergence caused by these readings generally does not lead to a contradiction with the continuously recurrent (*mutawatir*) reading; rather, it contributes to broadening its horizons and deepening its dimensions. Furthermore, these readings contain evidence of the flexibility of the Arabic language and its vast expressive capacity. Additionally, the study reveals a research gap in contemporary academic literature, represented by the absence of an independent compilation that gathers these readings and studies them from both the perspectives of documenting transmission chains and conducting semantic and rhetorical analysis.

**Keywords:** Qurʾānic Readings, Irregular Readings, Tawātur, Semantic Analysis, Arabic Linguistics, Rhetorical Variation, Quran Sciences.

# القراءة الشاذة بين إشكالية السند وثراء الدلالة
## ـ دراسة تحليلية في التوجيه النحوي والبلاغي والدلالي ـ

عبير عبيد الشبيل[1]

(1) أستاذ مساعد، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية إربد الجامعية، إربد – الأردن.

**ملخص**

تتناول هذه الدراسة القراءاتِ القرآنية التي صنفت في تراث علوم القراءات شاذة، ومرد ذلك التصنيف في الغالب إلى علة في السند لا في المتن؛ سواء أكانت انقطاعاً في سلسلة الرواة، أم طعناً في ضبط أحدهم أو عدالته، أم انفراد راوٍ بما خالف الجمهور من غير شاهد. وتسعى الدراسة إلى إثبات أن هذه القراءات، بصرف النظر عن وضعها التشريعي في سلم الحجية التعبدية، تنطوي على قيمة لغوية وبلاغية ودلالية تستحق الاستقراء المنهجي المعمق. تعتمد الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي أداة محورية في استخلاص نماذج مختارة من هذه القراءات وتحليلها تحليلاً نحوياً وصرفياً ودلالياً وبلاغياً. وتنتهي إلى أن الخلاف الذي تُحدثه هذه القراءات لا يفضي في الغالب إلى تناقض مع القراءة المتواترة، بل يسهم في توسيع آفاقها وتعميق أبعادها، وأن فيها شواهد على مرونة العربية واتساع طاقتها التعبيرية. كما تكشف الدراسة عن فجوة بحثية في الأدب العلمي المعاصر تتمثل في غياب تأليف مستقل يجمع هذه القراءات ويدرسها من جهتي توثيق الأسانيد والتحليل الدلالي والبلاغي.

**الكلمات الدالة** :القراءات القرآنية، القراءات الشاذة، التواتر، التحليل الدلالي، علم اللغة العربية، البلاغة القرآنية، علوم القرآن.

## المقدمة

لم يكن نزول القرآن الكريم حدثاً لغوياً عادياً؛ بل كان انعطافة حضارية أعادت رسم علاقة العربية بالكلمة وبالإنسان معاً، وأقامت معادلة جديدة بين الوحي والتلقي والتدبر.

فقد أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بلسانٍ عربي مبين، وأباح له أن يقرئ الناس على سبعة أحرف تيسيراً على أمة تتعدد قبائلها وتتنوع لهجاتها.

وفي هذا الترخيص حكمة بالغة، إذ لو أُلزم الناس بلهجة واحدة لثقل عليهم التكليف وتعسرت الرواية.

وقد نقل السيوطي في الإتقان طائفة من الآراء في القبائل التي نزل القرآن موافقاً للهجتها،

ومنها "لغة قريش، وهذيل، وكنانة، وخثعم، والخزرج، وأشعر ..." (السيوطي، 1974)، وفي هذا دلالة على أن تعدد أوجه القراءة لم يكن طارئاً على النص بل كان ملازماً لتنزيله جزءاً من حكمة الله في التيسير على عباده؛ إذ يقول السيوطي: "إن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات"، وقال ابن حجر العسقلاني: "إنه نزل بجميع ألسنة العرب" (العسقلاني، 1986)، وأياً كان تحديد هذه اللغات وضبط حدودها – وهو أمر لا يزال موضع خلاف بين العلماء – فالثابت أن الترخيص بالتعدد كان مقصوداً لذاته.

وقد حرص الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على نقل القرآن بالطريقة التي تلقوها من رسول الله ﷺ مطابقة تامة في الأصوات، والنحو، والوقف، والإمالة، والسكت، اتكاءً على مبدأ التلقي الشفاهي، وقد أكد الداني على هذا المبدأ بقوله: "القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرؤوا كما علمتموه" (الداني، 2007)، وهذا الموقف ليس تضييقاً على الاجتهاد اللغوي بقدر ما هو ضمانة لصحة النقل؛ إذ القرآن لو ترك للاجتهاد الفردي لاتسع باب التصرف حتى يفقد النص ثباته، وأكد الراجحي كذلك أن القراءة لا تكتفي بمجرد السماع، بل لا بد من "شرط التلقي والعرض" (الراجحي، 2008).

غير أن الاختلاف الذي ظهر بين الناس في صنوف القراءة كان مؤشراً على ضرورة تأطير هذا التعدد، فجاء جمع القرآن في مصحف إمام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ببالغ الحيطة والضبط، جامعاً بين المروي مكتوباً، والمنقول مشافهة.

وقد تمثل ذلك في أمر عثمان رضي الله عنه للرهط المكلفين بالكتابة بأن "يكتبوا ما اختلفوا فيه من القرآن بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم" (البخاري، 1422هـ؛ الكردي، 1946؛ عتر الحلبي، 1993).

وفي أعقاب ذلك نشط العلماء في تمييز القراءات وتصنيفها، وتوج هذا المسار جهد ابن مجاهد الذي سبَّع القراءات محتكماً إلى صحة السند.

ثم جاء من بعده من أضاف ثلاثاً فأصبحت عشراً، وألحقت بها أربعا أخرى عُدت من الشواذ.

وقد انصب اهتمام الدرس العلمي في هذا الباب على مسألة الحجية التعبدية أساساً، في حين ظل البعد اللغوي والدلالي لهذه القراءات الشاذة يحظى بإشارات متفرقة دون أن ينال حقه من

الدراسة المنهجية الشاملة.

ومن هذه الزاوية تنبثق هذه الدراسة؛ لا لتعيد النظر في حجية هذه القراءات التعبدية، أو لتخالف ما أجمع عليه العلماء في شأنها، بل لتسلط الضوء على ما تنطوي عليه من غنى لغوي، وثراء دلالي، وعمق بلاغي؛ يسهم في تعميق فهمنا للغة القرآن الكريم.

## منهج الدراسة وحدودها وأهميتها

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي أداة بحثية محورية، وهو منهج يستقرئ الظاهرة المدروسة استقراءً يرصد تمثلاتها ويصنفها ويحللها بما يفضي إلى استنتاجات قابلة للتعميم.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تبنى الدراسة على ركيزتين متكاملتين: رصد النماذج المختارة من القراءات الشاذة لعلة السند وعرضها عرضاً علمياً دقيقاً يستحضر سياقها التاريخي وإطارها الإسنادي، ثم تحليل هذه النماذج على المستويات النحوية والصرفية والدلالية والبلاغية في تكاملٍ منهجي.

وتقف الدراسة عند النماذج التي حظيت بعناية المصادر الكلاسيكية في علوم القراءات والتفسير، مستعينة بكتب التوجيه والإعراب كالمحتسب لابن جني، والحجة لأبي علي الفارسي، والدر المصون للسمين الحلبي، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري.

كما تستعين بكتب التفسير اللغوي كالكشاف للزمخشري، والتحرير والتنوير لابن عاشور، والبحر المحيط لأبي حيان، فضلاً عن كتب اللغة والمعاجم كمعاني القرآن للفراء، وتهذيب اللغة للأزهري، ومقاييس اللغة لابن فارس، ولسان العرب لابن منظور.

**وتتمثل أهمية الدراسة في ثلاثة مستويات:**

**أولها:** استثمار مصدر لغوي ثري لم يُستثمَر بالقدر الكافي في الدرس اللغوي المعاصر.

**وثانيها:** تقديم نموذج تطبيقي للتحليل اللغوي الشامل الجامع بين مستوياته المختلفة.

**وثالثها:** الكشف عن فجوة بحثية وتقديم توصيات للباحثين المعنيين.

ولا تتعرض الدراسة للمسائل العقدية المتعلقة بحجية هذه القراءات في التعبد، وهو أمر قد فصل فيه العلماء قولاً فصلاً.

## المناقشة والتحليل

**أولاً: القراءات المتواترة والقراءات الشاذة – إطار مفاهيمي وتاريخي:**

**1- نشأة الاهتمام بتمييز القراءات وتصنيفها:**

نشط النظر في تمييز القراءات في مرحلة مبكرة من الفكر الإسلامي، بيد أن هذا النشاط اكتسب طابعاً منهجياً منظماً بعد أن تعددت القراءات واستقلت جغرافياً؛ فظهرت قراءة في المدينة المنورة، وأخرى في الكوفة والبصرة، ومن ثمّ الشام ومصر، ولكل منها مدرستها المتميزة.

وتواترت التآليف العلمية حول هذه القراءات بين من صنّف في أصولها وقواعدها، ومن عُني بفرش حروفها وضبط تفاصيلها، ومن انتصب لنقد ما يستحق النقد صوناً للصحيح من الضعيف.

وتوج هذا المسار جهد ابن مجاهد المتوفى سنة 324هـ، الذي سبَّع القراءات متكئاً على معيار السند الصحيح والشهرة والانتشار، وقد صاغ معياره للإمام المعتمد في القراءة بدقة؛ إذ قال: "فمن حَمَلة القرآن المُعرِب العالمُ بوجوه الإعراب والقراءات، العارفُ باللغات ومعاني الكلمات، البصيرُ بعيب القراءات المنتقِد للآثار، فذلك الإمام الذي يُفزَع إليه حُفّاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين" (ابن مجاهد، 1400هـ)، فجعل الإمامة في القراءة مشروطة بالعلم والضبط، لا بمجرد الأداء.

ثم واصل العلماء من بعده التدقيق والتمحيص حتى أصبحت القراءات المعتمدة عشراً، ثم ألحقت بها أربع أخرى عُدّت من الشواذ.

**2- شروط قبول القراءة، ومنزلة الشاذ فيها:**

استخلص علماء القراءات ثلاثة شروط جوهرية لا تُقبل القراءة بدونها، نص عليها ابن الجزري في النشر وغاية النهاية: مطابقة الرسم العثماني ولو احتمالاً، والموافقة للعربية ولو بوجه غير مشهور، وصحة السند وثبوته (ابن الجزري، 2001).

ورتب العلماء القراءات تبعاً لمدى استيفاء هذه الشروط على نحو دقيق نقله السيوطي في إتقانه (السيوطي، 1974)، فجعلوا أعلاها المتواتر وهو ما نقله جمع عن جمع في القراءات العشر الصحيحة، ثم المشهور وهو ما صح سنده وإن لم يبلغ التواتر، ثم الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو لم يشتهر، وأخيراً الشاذ وهو ما لم يصح سنده.

وتسير هذه الدراسة في تعريف الشاذ على ما ذهب إليه السيوطي وطائفة من العلماء من أنه

ما لم يصح سنده، إذ إن الرواة في الغالب قراء أكفاء لا يُعقل أن ينقلوا ما يخالف بنية النحو العربي.

وقد أفصح أبو شامة عما آل إليه حال القراءات فقال: كثر بسبب ذلك الاختلاف وقلَّ الضبط، واتسع الخرق، والتبس الباطل بالحق، فميزها جهابذة العلماء بتصانيفهم، (الدمشقي، 2007).

ونبه ابن الجزري على أن كثيراً مما في كتب الشواذ غالب إسناده ضعيف كقراءة ابن السميفع وأبي السمال (ابن الجزري، 2001).

ومن القراء من انقطعت أسانيدهم وذكرهم الخزاعي في المنتهى، منهم: أبو بحرية الحمصي، وسلام الطويل، وأيوب بن المتوكل، وأبو حاتم السجستاني (الخزاعي، 1433هـ).

ويتضح من هذا أن الحكم بالشذوذ لعلة السند لا يعني بالضرورة خللاً في متن القراءة لغوياً أو بلاغياً؛ بل الغالب أن هذه القراءات تمثل إمكانات حقيقية في العربية لم توثق توثيقاً يرقى إلى التواتر.

ومن ثم تكون قيمتها اللغوية قائمة وقابلة للاستثمار البحثي وإن لم تصلح للاحتجاج التعبدي.

**ثانياً: اختلاف حركة البناء وصياغة المفردة وأثره الدلالي:**

يعد الاختلاف في ضبط الكلمة وبنائها من أوفر مصادر التعدد الدلالي في القراءات الشاذة، إذ قد يؤدي تغيير حركة واحدة في المفردة أو إبدال صيغة صرفية بأخرى إلى تحول جوهري في الحمولة الدلالية وما يترتب عليها من إيحاءات.

ومن أبرز ما وقفت عليه الدراسة في هذا المحور ما يلي:

أ- **الاختلاف في حركة البناء: نموذج آية المرسلات:**

﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ**﴾ (المرسلات: 32-33).

تصف الآيتان جهنم في مشهد تهويلي يجعل شرارها يتطاير كالقصور الشامخة أو قطعان الجمال الصفراء.

وقد اختلف القراء في قراءة لفظة (القصر) على عدة أوجه: أولها: (القَصْر) بفتح القاف وسكون الصاد، وهي القراءة المتواترة، وثانيها: (القِصَر) بكسر القاف وفتح الصاد، كما نقل ابن جني، وتشير إلى جذوع الأشجار أو النخل القصيرة الغليظة، وثالثها: (القَصَر) بفتح القاف والصاد معاً، وهي قراءة ابن مقسم[1] في الشواذ (ابن جني، 1998)، إلا أن علماء القراءات ضعفوا قراءاته بسبب منهجه في إيثار ما تحتمله العربية على حساب السند، وقد نقل الذهبي عن الخطيب البغدادي أنه خالف الإجماع في حروف من القرآن حتى استُتيب منها (الذهبي، 1997).

والمعنى المعجمي لـ(القَصَر) في القراءة الشاذة يعود إلى أصول الشجر والنخل وجذوعه الغليظة، الواحدة قَصَرة.

والمقارنة بين القراءة المتواترة وهذا الوجه الشاذ تكشف عن فارق دلالي حقيقي: في الأولى التشبيه قائم على العلو والشموخ، وفي الثانية على الغِلَظ والكثافة، ففي الأولى هيبة الشكل وعلوه، وفي الثانية ثقل الكتلة وكثافتها، والتهويل حاضر في كلتيهما، لكن زاوية النظر مختلفة. وقد يلاحظ أن صورة الجذوع المتمايلة في القراءة الشاذة تتناسق مع الآية التالية ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ من حيث الثقل والحركة، غير أن هذا الملمح لا يقدَّم على صحة السند.

**ب- الاختلاف بين الإفراد والجمع: نموذج آية النور 39:**

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾** (النور: 39).

حيث قرأ الجمهور (قيعة) بصيغة المفرد، في حين قرأ مسلمة بن محارب (قيعات) بصيغة الجمع مخالفاً بذلك السند والرسم معاً (السمين الحلبي، 2004).

والقِيعة والقِيعات من القاع، وهي الأرض المنبسطة التي لا نبات فيها وفيها يكون السراب؛ قال الفراء: القيعة جماع القاع واحدتها قاع كما قالوا جار وجيرة، (الفراء، 1955).

وقد شرح الزمخشري وجه التشبيه في الآية بأنها تصور أعمال الكافرين التي يحسبها أصحابها نافعة ثم تخيب في العاقبة، كسراب يُحسبه الظامئ ماء فلا يجد شيئاً، (الزمخشري، 1407هـ).

والجمع في قراءة ابن محارب (قيعات) يوسع مساحة المشهد الموحش ويضاعف الإحساس بالضياع، إذ لا تقتصر الصحراء على رقعة واحدة بل تتشعب إلى قيعاتٍ شتى.

فضلاً عن ذلك يحقق الجمع تناسقاً أسلوبياً مع الآية اللاحقة: **{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ}** (النور: 40)، إذ تتوافق (قيعات) مع (ظلمات) في صيغة الجمع الدالة على الكثرة والتراكم، فيتوافق الجمعان في المشهد التهويلي لينتجا أثراً متسقاً في وصف موقف الكافرين.

وهذا التناسق لا يتحقق بالدرجة ذاتها مع المفرد.

**ج- (الاختلاف في التنقيط(2)) وأثره المعجمي: نموذج آية البقرة 251:**

**﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾**(البقرة: 251).

قرأ الجمهور (صَلَوَاتٌ) بالألف وصيغة جمع المؤنث السالم، وهي استعمال مجازي يسمى فيه المكان باسم الفعل الذي يقام فيه، فـ (صلوات) يراد بها مكان الصلاة.

وقرأ الجحدري (صُلُوتٌ) بضم الصاد واللام وإسكان الواو، وإن كان ابن الجزري قد طعن في سند هذه القراءة وعدها من المناكير (ابن الجزري، 1431هـ).

وهذه الكلمة (صُلُوت) تدل على بيت العبادة عند بعض الأمم غير المسلمة، ولا سيما اليهود؛ قال الأزهري: الصَّلَوَات كنائس اليهود وأصلها بالعبرانية صَلُوتا، (الأزهري، 2001).

وقد أورد الطبري في تفسيره جملة من الأقوال في تأويل (صلوات) مع شيء من التفصيل (الطبري، 2000).

وقد وجه ابن جني القراءة الشاذة بأن (صُلُوت) جمع (صُلُوة) المفردة غير المستعملة في العربية (ابن جني، 1998).

والقراءة الشاذة بدلالتها المعجمية المباشرة تتناسق مع سياق الآية التي تذكر أماكن العبادة بأسمائها الخاصة لدى أصحابها: صوامع وبِيَع ومساجد، فيكون (صُلُوت) اسماً لدور عبادة اليهود مما يجعل الآية جامعة لأنواع دور العبادة في الأديان السماوية.

أما جمالية المجاز في القراءة المتواترة (صلوات) فتكمن في الإيحاء بأن هدم المكان لن يتوقف عند الهدم المادي بل سيمتد إلى هدم الصلاة ذاتها معنى وروحاً، فيضيف البيان القرآني بعداً توسعياً لا تملكه القراءة الشاذة.

**د- الاختلاف في التنقيط وأثره العقدي: نموذج آية الأعراف 156:**

**﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** (الأعراف: 156).

تجيء هذه الآية في سياق قصة موسى عليه السلام حين أخذت الرجفة بني إسرائيل، فتشفع موسى لقومه طالباً رفع العذاب عن البرآء.

والجواب الإلهي علق العذاب بالمشيئة الربانية المطلقة.

فقد قرأ زيد بن علي والحسن البصري وطاووس وعمرو بن فائد (مَنْ أَسَاءَ) بالسين المهملة بدلاً من الشين المعجمة (أبو حيان الأندلسي، 1420هـ؛ الدمياطي، 1998)، وهو تغيير لا يتجاوز نقطة واحدة في الخط لكنه ينقل المعنى نقلة جوهرية.

فالقراءة المتواترة (مَنْ أَشَاءُ) ترسي المعنى على المشيئة الإلهية المطلقة دون تعليق بسبب ظاهر، وهو ما شرحه ابن عاشور بأنه يتضمن طمأنة لموسى من أن العذاب لن يطال البرآء، مع الإبقاء على مطلق السلطة الإلهية في التصريف (ابن عاشور، 1984).

في المقابل جاءت القراءة الشاذة (مَنْ أَسَاءَ) مُعلِّقةً العذاب بسبب صريح هو الإساءة والذنب،

فتنتقل العلاقة الدلالية من مرجعية المشيئة المطلقة إلى مرجعية الاستحقاق المرتبط بالفعل.

وقد لاحظ ابن جني هذا التباين بدقة فقال: هذه القراءة أشد إفصاحاً بالعدل من القراءة الفاشية التي هي: مَنْ أَشَاءُ؛ لأن العذاب في القراءة الشاذة مذكور معه علة الاستحقاق وهو الإساءة، (ابن جني، 1998).

وقد أشار العلماء إلى أن القراءة الشاذة تقترب في توجهها الدلالي من الموقف المعتزلي الذي يرى الوعيد نافذاً لا محالة على مرتكب الكبيرة، في حين يبقي أهل السنة الأمر مفتوحاً على مشيئة الله.

وهذه الحساسية العقدية لا تلغي القيمة الدلالية للقراءتين، إذ إنهما تُجيبان معاً عن السؤال الذي طرحه موسى ولا تتعارضان في جوهرهما.

**ثالثاً: اختلافٌ ذو أثر في الإعراب وعلاقات الإسناد:**

تتعدى بعض الاختلافات القرائية في الشواذ حدود الدلالة المعجمية لتحدث أثراً مباشراً في الإعراب وعلاقات الإسناد النحوية، فتنتقل الكلمة من باب نحوي إلى آخر أو تغير موقع الفاعل والمفعول في الجملة أو تحول الأسلوب بين الخبر والإنشاء.

وهذه التحولات وإن كانت شكلية في ظاهرها إلا أنها تولد دلالات متباينة في الغاية والوجهة.

أ- **التحول في دلالة الفاعلية والمفعولية: نموذج آية البقرة 186:**

﴿**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة: 186).

قرأ الجمهور (يَرْشُدُون) ببناء الفعل للمعلوم من الثلاثي (رَشَد يَرشُد)، فيكون الرشاد ثمرة تترتب على فعل الاستجابة والإيمان.

وقرأ أبو السمَّال (يُرشِدون) بضم الياء وكسر الشين من الرباعي (ابن الجزري، 1431هـ)، وقرأ أبو حيوة (يُرشَدون) بضم الياء وفتح الشين على البناء للمجهول (عمر ومكرم، 1988).

وأشار الفراء إلى أن (رَشَد يَرشُد) و(رَشِد يَرشَد) لغتان عربيتان (الفراء، 1955)، فيكون بعض الاختلاف هنا تنوعاً لهجياً.

والرشد في الأصل "إصابة الحق وفعله" كما قرره ابن عاشور (ابن عاشور، 1984).

غير أن الأثر الدلالي اللافت يتجلى حين يبنى الفعل للمجهول في قراءة (يُرشَدون)؛ إذ عندها يتحول الرشاد من ثمرة يكتسبها الإنسان بفعله وإرادته إلى منحة إلهية يُسبغها الله على من توجه إليه بالدعاء والإيمان.

وبهذا يتوسع معنى الاستجابة الإلهية ليشمل ليس فقط قضاء الحاجة بل تهيئة المناخ الروحي والمعرفي للوصول إلى الرشاد.

والقراءتان لا تتعارضان في المحصلة؛ كلتاهما تنتهيان إلى أن من توجه بالدعاء وأطاع نال الرشاد، سواء أكان بكسبه واختياره أم بتوفيق الله ومنته.

**ب- خروج المفردة من باب نحوي إلى آخر: نموذج آية النساء 12:**

**﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾** (النساء: 12).

قرأ الجمهور (غيرَ مضارٍّ) بالتنوين، فيكون (غير) حالاً من الفاعل الضمير في (يوصي)، والمعنى أن حاله وهو يوصي ينبغي أن تكون خالية من قصد الإضرار بالورثة، وقد شرح ابن عاشور أن المعنى نهي عن أن يقصد الموصي بوصيته إلحاق الضرر بورثته (ابن عاشور، 1984).

وقرأ الحسن (مُضَارِّ وَصِيَّةً) بإضافة الاسم إلى ما بعده (ابن الجزري، 1431هـ)، فتصير (وصية) مضافاً إليه، ويصبح الضرر في الظاهر اللغوي متسلطاً على الوصية ذاتها لا على الورثة.

وقد انتبه السمين الحلبي في الدر المصون إلى أن هذا من قبيل المجاز والاتساع المعروف في العربية، وضرب له مثلاً بقولهم "يا سارقَ الليلةِ" إذ الليلة لا تُسرق بل السرقة فيها (السمين الحلبي، 2004).

وهذا الأسلوب في القراءة الشاذة يفيد مبالغة في تصوير الضرر؛ إذ حين تجعل الوصية بعينها محلاً للضرر يفهم من ذلك أن ضررها على الورثة واقع من باب أولى.

والقراءتان تلتقيان في تحريم الإضرار وتتفاوتان في درجة التصوير والمبالغة البيانية.

**ج- تضعيف عين الفعل وأثره في الإسناد: نموذج آية الإسراء 16:**

**﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾** (الإسراء: 16).

اختلف القراء في لفظة (أمرنا) اختلافاً بالغ الأثر في الدلالة، فوُجدت أربعة أوجه: (أمَرنا) بفتح الميم دون تشديد وهي القراءة المتواترة، و(آمَرنا) بمدّة بعد الهمزة، و(أمِرنا) بكسر الميم، و(أمّرنا) بتشديد الميم (الفارسي، 1993).

وقد قرأ أبو العالية وأبو عثمان النهدي (أمّرنا) بالتشديد، وقرأ الحسن البصري وابن يعمر (أمِرنا) بكسر الميم وهي القراءة الشاذة (العكبري، 1996).

والجذر (أمَرَ يَأمُرُ) يتضمن معاني عدة نص عليها ابن فارس في مقاييسه: الأمر بمعنى

الطلب والتكليف، والنماء والكثرة، والمعلم والعجب (ابن فارس، 1972).

وقد أشار أبو حيان الأندلسي إلى أن الفعل يتعلق بمحذوفٍ تقديره "أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا" (الأندلسي، 1420هـ)، وهذا التأويل يزيل ما قد يتوهم من أن الله أمر بالفسق.

وعلى قراءة الكسر (أمِرنا) بمعنى التكثير يصبح المعنى أن الله كثَّر هؤلاء المترفين وأنمى أعدادهم، فكان ذلك دافعاً لهم إلى البطر ثم إلى الفسق والإفساد.

وقد نص ابن منظور على أن "أمِرنا مترفيها أي كثّرناهم" مستشهداً بالحديث النبوي «" المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة" أي مُكثِرة (ابن منظور، 2003).

وقد أشار ابن عاشور في التحرير والتنوير إلى ملمح بلاغي نحوي لطيف في الآية، يتمثل في أنها تجيء تفريعاً على الآية السابقة التي تحدثت عن أن الله لا يعذب قوماً حتى يبعث رسولاً (ابن عاشور، 1984).

والمترف وصفه الأزهري في تهذيب اللغة بأنه "الذي أبطرته النعمة وسعة العيش، المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه" (الأزهري، 2001).

وترى الدراسة أن قراءة (أمِرنا) بمعنى التكثير تنبه إلى مسألة دقيقة، وهي أن الفسق والهلاك لا يرتبطان بالغنى والرئاسة ارتباطاً حتمياً بالضرورة؛ إذ قد يتكاثر المترفون في مجتمع دون أن يكونوا أصحاب سلطانٍ رسمي، وقد يستشري الفساد حتى يعم سواهم.

وهذه القراءة بما تحمله من دلالة التكثير تتم المعنى من زاوية غير التي تقف عندها القراءة المتواترة.

**د- انتقال الأسلوب بين الخبر والإنشاء: نموذج آية يوسف 90:**

**﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾** (يوسف: 90).

فقراءة الجمهور المتواترة (أَإِنَّكَ) بهمزتين تجعل الكلام استفهاماً تعجبياً ينمّ عن ذهول بالغ اعترى إخوة يوسف حين لم يكادوا يصدقون ما تراه أعينهم (الدمياطي، 1998).

وقرأ ابن مقسم والثغري (إِنَّكَ) بهمزة واحدة من طريق شاذ (ابن زنجلة، 1982)، فيصبح الكلام تأكيداً خبرياً يقرر الهوية ويثبتها.

وقد أجاز ابن كثير هذا الوجه أيضاً من طريقٍ سبعي صحيح (الفارسي، 1993).

وعلق السمين الحلبي بقوله: "فيحتمل أن تكون خبراً محضاً...ويحتمل أن يكون بعضهم قاله استفهاماً وبعضهم قاله خبراً" (السمين الحلبي، 2004).

وفي هذا التأويل تصور دقيق لتباين ردود الفعل البشرية؛ فمنهم من بادر بالاستفهام المُشبَع بالتعجب، ومنهم من رأى وعرف وتيقن فأفصح بصيغة الخبر المؤكد.

وفي كل من الأسلوبين ظل نفسي مختلف لا يلغي الآخر.

**رابعاً: الكتب المؤلفة في القراءة الشاذة لعلة السند:**

بعد هذا الاستعراض لنماذج من القراءات الشاذة لعلة السند، يتبين أن الأدب العلمي الإسلامي لم يعط هذا الثراء حقه من الدراسة المنهجية الشاملة؛ وهذا ليس قدحاً في جهود العلماء السابقين، بل إقرار بأن اهتمامهم انصرف بطبيعته إلى ما كان أولى بالعناية في سياقهم، وأن ثمة جوانب لم تنل حظها الكافي من المعالجة المنهجية تمثل آفاقاً بحثية خصبة تستدعي الاستثمار المعمق والتناول المنهجي المستقل.

تنقسم الكتب المؤلفة في هذا الموضوع إلى صنفين:

الصنف الأول كتب طبقات القراء كغاية النهاية لابن الجزري ومعرفة القراء الكبار للذهبي، وهي كتب تعتني بتراجم القراء وتقييم مستوياتهم وضبط أسانيدهم دون التعمق في تتبع ما قرأه كل مقرئ دلالياً.

والصنف الثاني كتب شواذ القراءات كالمحتسب لابن جني وإعراب القراءات الشواذ للعكبري، وهي كتب تقف في الغالب عند حدود التوجيه النحوي الإعرابي دون بسط البحث في البعد الدلالي والبلاغي.

أما كتب التفسير فقد أشارت إلى هذه القراءات إشارات مبعثرة دون أن تكون موضع عناية قصدية منهجية.

ويلاحظ كذلك أن علم الحديث ونقد الرجال بلغا من الدقة المنهجية في التعامل مع ظاهرة الضعف الإسنادي درجة رفيعة، في حين لم يستفد علم القراءات من هذا المنهج استفادة كافية في دراسة القراءات الشاذة من الجهة الدلالية، إذ اقتصر في الغالب على إطلاق الحكم على السند دون مصاحبة ذلك بدراسة المتن.

ومن هنا تنبثق الفرصة البحثية في إنشاء مشروع جامعٍ يضطلع بمهمة جمع هذه القراءات من مصادرها المتفرقة وتصنيفها تصنيفاً علمياً، ثم دراستها من جهتين متوازيتين: جهة توثيق الأسانيد والحكم عليها بالأدوات الإسنادية الدقيقة، وجهة التحليل الدلالي والبلاغي المعمق.

وهو مشروع يعد من أشد ما تحتاجه مكتبة الدراسات القرآنية الحديثة.

## الخاتمة

خرجت هذه الدراسة بجملة من الاستنتاجات التي تنبثق بضرورة منهجية من مجمل ما تقدم:

**أولها:** أن القراءات الشاذة لعلة السند كانت في الغالب موافقة لقواعد النحو العربي وأبنيته الصرفية، وأن العلة كامنة في سلسلة نقلها لا في بنيتها اللغوية الداخلية، وهذا ما يبرر استثمارها في الدرس الدلالي والبلاغي وإن ظلت خارج دائرة التعبد والتلاوة.

**ثانيها:** أن الاختلاف الدلالي الذي تحدثه هذه القراءات لا يفضي في الغالب إلى تعارض حقيقي مع القراءة المتواترة، بل يقوم في أكثر أحواله على التكامل والإثراء؛ إذ كثيراً ما تتقاسم القراءتان الفضاء الدلالي للآية من زاويتين مختلفتين فتقدم كل منهما إضاءة متمايزة.

**ثالثها:** أن حرص النحاة واللغويين والمقرئين الأوائل على توثيق هذه القراءات ونقلها وتدوينها على الرغم من الحكم عليها بالضعف الإسنادي كان ضرباً من الأمانة العلمية تحسب لهم؛ إذ إن وصول هذه الروايات إلينا أثبت أن ميراث اللغة لا يُهمَل حتى حين تضعف أسانيده.

**رابعها:** أن ثمة فجوة بحثية واسعة تنتظر من يملأها، تتمثل في غياب مؤلَّف مستقل معاصر يجمع القراءات الشاذة جمعاً شاملاً ويعنى بها من جهة توثيق الأسانيد وتقييمها ومن جهة التحليل الدلالي والبلاغي المعمق معاً.

**وخامسها:** أن هذه القراءات بمجموعها تبرهن على أن اللغة العربية كانت دائماً تتسع لأكثر من إمكانية تعبيرية واحدة في الآن ذاته، وأن القرآن الكريم قد استثمر هذا الاتساع ووظفه توظيفاً دقيقاً.

**<u>وتوصي الدراسة الباحثين المعنيين بالدراسات القرآنية واللغوية بما يلي:</u>**

**أولاً:** الإقبال على إعداد معجم شامل للقراءات الشاذة لعلة السند يجمعها من مظانها المتفرقة ويصنفها تصنيفاً علمياً.

**ثانياً:** إجراء دراساتٍ مقارنة تتناول الأثر الدلالي والبلاغي لهذه القراءات في مقابل القراءات المتواترة بمنهجية لسانية معاصرة.

**ثالثاً:** الإفادة من مناهج علم الحديث في تطوير أدوات نقد الأسانيد في علم القراءات.

**ورابعاً:** فتح الحوار البحثي بين علماء القراءات وعلماء اللغة والبلاغة للإفادة المتبادلة في استثمار هذا الإرث.

## الهوامش

(1) ابن مقسم أبو بكر محمد بن الحسن البغدادي (265–354هـ)، شيخ القراء في عصره، وصفه الخطيب البغدادي بأنه ثقة من أحفظ الناس لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات. غير أنه أجاز لنفسه القراءة بكل ما صحّ وجهه في العربية. (الذهبي، 1996).

(2) المصحف في مراحله الأولى كان خالياً من النقاط الإعجامية والشكل، وقد أضاف أبو الأسود الدؤلي أوائل ضبط المصحف، ثم تطور هذا الضبط تدريجياً، والأثر الذي تركه غياب النقط في تعدد القراءات مسألة بحثية قائمة؛ فبعض القراءات الشاذة قد تعكس قراءات شفهية حفظت قبل الاتفاق على طريقة بعينها في الضبط، فالتنقيط: هو وضع النقاط على الحروف المتشابهة لغرض تمييزها، فالحرف المعجم هو المنقط، والحرف المهمل هو غير المنقط (ب، ت، ث)، (ج، ح، خ)، (د، ذ)، (ر، ز)، (س، ش)، (ص، ض)، (ط، ظ)، (ع، غ)، (ف، ق)، (ك، ل).

## المراجع


- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد .**غاية النهاية في طبقات القراء** .الطبعة الأولى. مكتبة ابن تيمية، الرياض، 1431هـ.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد .**النشر في القراءات العشر** .الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان .**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** .الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
- ابن زنجلة، عبد الرحمن .**حجة القراءات** .الطبعة الثانية. مؤسسة الرسالة، لبنان، 1982.
- ابن عاشور، محمد الطاهر .**التحرير والتنوير** .الطبعة الأولى. الدار التونسية، تونس، 1984.
- ابن فارس، أحمد .**مقاييس اللغة** .الطبعة الثانية. مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1972.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد .**السبعة في القراءات** .الطبعة الثانية. دار المعارف، مصر، 1400هـ.
- ابن منظور، محمد .**لسان العرب** .الطبعة الثالثة. دار صادر، لبنان، 2003.
- الأزهري، محمد بن أحمد .**تهذيب اللغة** .الطبعة الأولى. دار إحياء التراث العربي، لبنان، 2001.

- الأندلسي، أبو حيان محمد .**البحر المحيط** .الطبعة الأولى. دار الفكر، لبنان، 1420هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل .**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)** .الطبعة الأولى. دار طوق النجاة، لبنان، 1422هـ.
- الخزاعي، محمد .**المنتهى وفيه خمس عشرة قراءة** .الطبعة الأولى. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1433هـ.
- الداني، عثمان بن سعيد .**التيسير في القراءات السبع** .دار الكتاب العربي، بيروت، 2007.
- الدمشقي، عبد الرحمن .**إبراز المعاني في حرز الأماني** .الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.
- الدمياطي، أحمد .**إتحاف فضلاء البشر** .الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
- الذهبي، محمد بن أحمد. **سير أعلام النبلاء**. الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، لبنان ، 1996.
- الذهبي، محمد بن أحمد .**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** .الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.
- الراجحي، عبده .**اللهجات العربية في القراءات القرآنية** .الطبعة الأولى. دار المسيرة، الأردن، 2008.
- الزمخشري، محمود .**الكشاف** .الطبعة الثالثة. دار الريان للتراث، مصر، 1407هـ.
- السمين الحلبي، أحمد .**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** .الطبعة الأولى. دار القلم، سوريا، 2004.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن .**الإتقان في علوم القرآن** .دون طبعة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974.
- الطبري، محمد بن جرير .**جامع البيان في تأويل القرآن** .الطبعة الأولى. مؤسسة الرسالة، لبنان، 2000.
- عتر الحلبي، نور الدين محمد، علوم القرآن الكريم، الطبعة الأولى، مطبعة الصباح، دمشق، 1993.
- العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، مصر، 1986.

- العكبري، أبو البقاء عبد الله .**إعراب القراءات الشواذ** .الطبعة الأولى. عالم الكتب، لبنان، 1996.
- عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم .**معجم القراءات القرآنية** .الطبعة الثانية. مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1988.
- الفارسي، أبو علي الحسن .**الحجة للقراء السبعة** .الطبعة الثانية. دار المأمون للتراث، سوريا، 1993.
- الفرّاء، يحيى بن زياد .**معاني القرآن** .عالم الكتب، بيروت، 1955.
- الكردي، محمد طاهر. **تاريخ القرآن الكريم**. الطبعة الأولى. مطبعة الفتح، جدة، 1946.